المصاحبة اللغوية في شعر الشيخ أبي بكر عتيق الكشناوي

الدكتور محمد منصور جبريل
جامعة بايروكنو - نيجيريا.

ملخص:

يسعى هذا البحث إلى إبراز منهج الشيخ أبي بكر عتيق الكشناوي في توظيف المصاحبة اللغوية بنوعيها العادية وغير العادية, لما فيها من الدور المثمر في كشف العلاقة الاقترانية والدلالية في النص الأدبي. وقد تناول الباحث المجموعة اللفظية بالدراسة للوقوف على أنماط المفردات المستخدمة في المدى التصاحبي وفق الألفاظ المحورية الشائعة في شعر الشيخ أبي بكر عتيق.

This research work examines along the collocation styles of delivery in shaykh abubakar atiq,s poetry.The researcher was able to collect these expressions and make adequate analysis as regard to its meanings, via usual and unusual collocations,in addition to numeric data of the number of appearance of a given expressions in the poem. In an introduction of the work, a brief biography of the poet and his contribution for the development of arabic and islamic studies were also highlighted. Finally.

The researcher appealed for more relavant or similar researches in semantics field for better education of entire muslim ummah towards the understanding of true meanings of Quran and hadith, and eventually to develop arabic culture and heritage in our society.

المقدمة:

تتعرض المصاحبة اللغوية لدراسة الوحدات اللفظية في النص.وليس المراد بالوحدة اللفظية الكلمة المفردة فحسب،بل المقصود بها تلك الوحدات التي ترتبط ببعضها البعض من ناحية المبنى والمعنى.

هذه الورقة عبارة عن دراسة تطبيقية لكشف منهج الشيخ أبي بكر عتيق في توظيف المصاحبات اللغوية بنوعيها: العادية وغير العادية، لما فيها من العلاقة الاقترانية والدلالية في النص الأدبي. وقد تناول الباحث المجموعة اللفظية بالدراسة للوقوف على أنماط المفردات المستخدمة في المدى التصاحبي وفق الألفاظ المحورية الشائعة في شعر الشيخ أبي بكر عتيق. وستكون الورقة على نحو ما يلي:

ترجمة الشاعر:

هو الشيخ الحاج أبو بكر عتيق بن خضر بن الحاج أبي بكر بن موسى الكشناوي،نسبة إلى مدينة كشنة وكان أبوه وجده من أهلها.

ولد بمدينة كشنة في العقد الأول من القرن العشرين، وذلك سنة 1909م، وعاش بمدينة كنو إلى أن توفي سنة 1974م، وعمره خمس وستون سنة[1].

وقد أخذ العلوم عن مشايخ كثيرة منهم الشيخ محمد سلغ،والشيخ عبد الله سلغ، والشيخ أبو بكر مِجِنْيَوَ،وغيرهم من الأساتذة.وله تلاميذ في مختلف أنحاء هذه البلاد

[1]- عمر، محمد الأمين، الشيخ أبو بكر عتيق وديوانه هدية الأحباب والخلان، مطابع الزهراء، كنو، نيجيريا، (ب ت): 15.

وفي خارجها، من بينهم: الشيخ موسى كَزَوْرِي، والشيخ سَهْلُ رِنْغِمْ، والشيخ بَلارَبِي جيغَا وغيرهم[1].

تناول الشيخ أبو بكر عتيق في شعره فنوناً مختلفة، منها الفخر، والرثاء، والمديح النبوي، ومدح الشيوخ، والحب الإلهي، والتوسل، وغير ذلك من أغراض الشعر الصوفي.

ألف الشيخ أبو بكر عتيق كتباً كثيرةً في المجالات الدينية واللغة العربية والتصوف، حتى قيل بأن مصنفاته تبلغ حوالي خمسين كتاباً ورسالة[2].

وقد أثنى عليه علماء كثيرون منهم الشيخ محمد الناصر كبر، وأستاذه الشيخ أبو بكر مِجِنْيَوَ، والشيخ غِبريم انْغُرُو وغيرهم.

المصاحبة اللغوية:

إن الإطار النظري المقترح لدراسة الألفاظ أو الوحدات اللفظية يتضمن نوعين من الفصائل، هما:

1. المصاحبة اللغوية (Collocation).
2. المجموعة اللفظية (Lexical Set).

يعود مصطلح المصاحبة إلى مادة "ص.ح.ب." التي تدل على على معنى التلازم والاقتران والمرافقة بين الشيئين.فالكلمة المصاحبة مشتقة من صحبة و صحابة, يقال

[1] Ibrahim, A. Tahir, (PhD), Scholars, Sufis, Saints and Capitalists in Kano 1904 – 1974, Dissertation Submitted to University of Cambridge in Fulfillment of the Requirements for the Degree of Doctor of Philosophy, Nov. 1975: 423.

[2] Paden, John N., Religion and Political Culture in Kano, University of California Press, London, 1973: 99 – 100.

صحبه صحبة وصحابا أي رافقه.[1] وهي على وزن مفاعلة للدلالة على المشاركة في إجراء الأمور. ولعل الدلالة المعجمية تتلاقى مع الدلالة الاصطلاحية في بعض الجوانب.

وقد سعى فيرث إلى تحديد معالمها وأبعادها المتداخلة في معرض حديثه عن التفريق بين البنية والنظام،حيث ذكر أن البنية تنطبق على العلاقات الأفقية بين الوحدات المتجاورة, في حين أن النظام ينطبق على العلاقات الرأسية بين الوحدات القابلة للتبادل.فالمصاحبة هي شكل من أشكال العلاقات الأفقية على المستوى المعجمي،وهي تختلف عن شكل آخر من العلاقات الأفقية على المستوى النحوي.[2]

فالمصاحبة اللغوية: عبارة عن ميل بعض الألفاظ إلى مصاحبة ألفاظ معينة أخرى دون غيرها.أما المجموعة اللفظية فتمثل مجموعة المفردات التي تشترك أو تتشابه في المدى التصاحبي[3].والفرق بينهما أن المجموعة اللفظية لا يمكن الوصول إليها إلا بعد إكمال المسافة التصاحبية (Collocational Span).فيلاحظ أن التعريفات التي ذكرها اللغويون المحدثون لهذه الظاهرة ترتبط بالمعنى المعجمي. فهي عند د.محمد

[1] أنيس, إبراهيم وآخرون, المعجم الوسيط, مجمع اللغة العربية بالقاهرة, م1 -2, د.م, ص632

[2] -يهوذا, أمبن, المصاحبة في شعر الدكتور إبراهيم أحمد مقري, قسم اللغة العربية, جامعة أحمد بلو, زاريا, كدونا-نيجيريا, 2003 ص63

[3] - عزت، علي (الدكتور)، الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب، شركة أبو الهول، القاهرة، ط1، 1996م ص39.

حلمي هليل تتمثل في " تجمعات معجمية لكلمتين أو أكثر جرت العادة على تلازمها وتكرر حدوثها وترابطها دلاليا".[1]

ومهما يكن من أمر،فإن المصاحبة اللغوية تمثل العلاقة الاقترانية بين ألفاظ معينة. فعنصرا المصاحبة اللغوية مرتبطان ببعضهما البعض؛فإذا قلت: "أعطني فنجاناً من ..." فإننا نتوقع كلمة "قهوة" أو "شاي" في المكان الخالي. وإذا قلت: "هذه مسألة حياة أو ..." نتوقع كلمة "موت". فكلمة "بقرة" مثلاً تصحبها كلمات مثل "يحلب"، و"حلوب"، و"لبن"، وتميزها عن كلمات أخرى مثل ثور،أو لبوءة،أو قطة، أو نمرة، وهكذا.

ويحاول اللغويون تطوير هذه الفكرة فيقترحون ثلاثة مصطلحات يمكن استخدامها في تحليل تلك الظاهرة، وهي:

أ.اللفظ المحوري (node, nodal item): وهو اللفظ موضوع الدراسة أو البحث،كما هو الحال في (بقرة) في المثال السابق.

ب.اللفظ المصاحب (collocate): وهو اللفظ أو الألفاظ التي تُرى عادة برفقة اللفظ المحوري، مثل (يحلب) و(حلوب) و(لبن) في المثال السابق.

ت.المدى التصاحبي (collocational range): وهي قائمة الألفاظ التي يمكن أن تصاحب اللفظ المحوري. وعلى سبيل المثال، إذا أخذنا كلمة (اقتصاد) في اللغة

[1]-الحسيني, حمادة محمد عبد الفتاح, المصاحبة اللغوية وأثرها في تحديد الدلالة في القرآن الكريم, رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في أصول اللغة, جامعة الأزهر, كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة, 2007م ص29

العربية كلفظ محوري، فإن الاحتمال أن نراها مصاحبة لألفاظ مثل (الشؤون) أو (السياسة) أو (الخطة) أو (البرنامج) أو (الكساد) أو (الأزمة) ... وهكذا. فإذا أكملنا قائمة هذه الألفاظ المصاحبة أصبح لدينا "المدى التصاحبي" للفظ المحوري (اقتصاد).

وتعتبر فكرة المصاحبة اللغوية ذات أهمية قصوى في دراسة المفردات، فمصاحبة الألفاظ لبعضها البعض تعتبر علاقة شكلية إلا أن لها صفة الموضوعية، لأنها قائمة على الملاحظة، كما يمكن تعريف اللفظ بما يصاحبه من ألفاظ ...ولما كانت هذه الألفاظ المصاحبة قد تجاوز اللفظ المحوري مباشرة، أو قد تفصلها عنه ألفاظ أخرى،فإن اللغويين يقترحون استخدام مصطلح "المسافة التصاحبية" لتحديد المسافة أو عدد الألفاظ التي تفصل بين اللفظ المحوري والألفاظ المصاحبة له.

ولنختبر هذا القول من شعر الشيخ أبي بكر عتيق في المديح النبوي حيث يقول:

(1) مدحي له قد كان في إطراقي لا ما أُسطِّره على الأوراقِ
(2) ماذا أقول بمدح من ربُّ الورى أَثْنَى عليه بأعظم الأخلاقِ
(3) قل ما تشا في مدحه من بعد أنْ وصفته بعبودة الخلاقِ
(4) قل عبده وخليله وحبيبه وصَفِيُّه هو فاتحُ الأغلاقِ[1]

[1]- عمر، محمد الأمين، الشيخ أبو بكر عتيق وديوانه هدية الأحباب والخلان، مرجع سابق: 199.

إن اللفظ المحوري (موضوع الدراسة) في هذه القصيدة هو الرسول **e**. والألفاظ المصاحبة هي (المدح + رب الورى + أعظم الأخلاق + عبودة الخلاق + عبده + خليله + حبيبه + صفيه + فاتح الأغلاق + سيد الرسل + خيرهم + أصل كل الخلق). وعندما تم تشكيل قائمة الألفاظ المصاحبة أصبح لدينا "المدى التصاحبي" للنص، وبقي لنا إبراز المسافة التصاحبية، وتتمثل في الكلمات التالية: (اللام + قد + كان في + إطراقي + لا + ما + أسطر + الهاء + على + الأوراق + ماذا + أقول + أثنى + على + قل + و + و + و+ الكرام + الباء + الإطلاق).

وفيما يلي رموز توضح لنا مدى شيوع هذه الظواهر التصاحبية داخل الأبيات السابقة من البيت الأول إلى الخامس:

(1)← + -- + ↑ -- + --+ -- + --		-- + -- + -- + -- + --
(2)-- + -- + -- + ← + ↑ + ←		-- + -- + ↑ + -- + -- + ←
(3)-- + -- + -- + -- + ← + ↑ + --		-- + -- + ↑ + -- + -- + ←
+ -- + --		-- + ← + ↑ + ←
(4)-- + ← + -- ← + -- +		↑ + ← + -- + ---[1]
(5)↑ + ← + -- + -- + ←		

وبالنظر إلى الرموز السابقة يلمس القارئ أن الحيز المكاني الذي غطته الرموز الدالة على المساحة التصاحبية تمتاز بالدرجة الأولى كماً بنسبة 58,9%، تليها الرموز الدالة

[1]- وتحليل الرموز السابقة يكون على نحو ما يلي:

←: للدلالة على اللفظ المصاحب.

↑: للدلالة على اللفظ المحوري.

--: للدلالة على المسافة التصاحبية.

على اللفظ المصاحب بنسبة 25,0%، ثم الرموز الدالة على اللفظ المحوري، وقد وردت بنسبة ضئيلة 14,3%.

وفيما يلي تفصيل لمدى شيوع هذه الظواهر التصاحبية وبيان عدد كل منها داخل الأبيات السالفة الذكر:

البيت الأول:

المسافة التصاحبية = 10

اللفظ المصاحب = 1

اللفظ المحوري = 1

البيت الثاني:

المسافة التصاحبية = 6

اللفظ المصاحب = 3

اللفظ المحوري = 2

البيت الثالث:

المسافة التصاحبية = 10

اللفظ المصاحب = 2

اللفظ المحوري = 3

البيت الرابع:

المسافة التصاحبية = 4

اللفظ المصاحب = 5

اللفظ المحوري = 1

البيت الخامس:

المسافة التصاحبية = 4

اللفظ المصاحب = 3

اللفظ المحوري = 2

المجموعة = 56

ومن بين هذه المجموعة نستخلص ما يلي:

ظواهر المصاحبة	عددها	نسبتها
المسافة التصاحبية	33	%58,9
اللفظ المصاحب	14	%25,0
اللفظ المحوري	8	%14,3

ويفرق اللغويون بين نوعين من المصاحبات اللغوية على نحو ما يلي:

المصاحبات العادية (Usual Collocations): تتمثل المصاحبات العادية في استخدام اللغة على النمط المألوف. فالعلاقة بين الوحدات المكونة لهذا النوع هي علاقة توقع متبادل. فإذا قلت (نباح ...) توقعنا لفظ (الكلب)، وإذا قلت (زئير

...) توقعنا لفظ الأسد، واستبعدنا لفظ (البقرة) أو (الثور) أو (الهرة)، وإذا قلنا (عدوان) فقد تقفز إلى ذاكرة المتلقي كلمة (معتدي) ... وهكذا[1]. فكل هذه مصاحبات سيقت على النمط المألوف بعيداً عن اللغة المجازية غير العادية.

وبالرجوع إلى قصائد الشيخ أبي بكر عتيق يلمس القارئ أنه يسيطر عليها هذا النمط من المصاحبات اللغوية العادية، حيث لاحظ الباحث بأن 95,8% من شعره كان موضوعاً على النمط التصاحبي المألوف. ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن معظم قصائده يرجع إلى أغراض تعليمية. ومعلوم أن الأسلوب العلمي يمتاز عن غيره بالوضوح والبعد عن الانحراف.

ولنختبر نموذجاً للمصاحبات العادية من قول الشيخ أبي بكر عتيق في الهجاء:

أقول على رغم الحسود المكابر ولا أختشي من لائم متهاجر
ألا فاشهدوا أني شهدت بذلكم ولا تنكروا قولي مع ذي المناكر
فإني اتخذت الشيخ أحمد قدوةً إمام جميع الأوليا ذا المآثرِ[2]

يلمس القارئ من هذه الأبيات أن الشاعر تجرد تماماً عن توظيف اللغة المجازية، حيث يعبر صراحةً بأنه بعيد عن المتكبرين من حاسدي الشيخ أحمد التجاني، وأنه لا يخشى لومة لائم في إظهار براءته منهم. واستمر في البيت الثاني يعترف بذلهم،

[1]- الخولي، محمد علي (الدكتور)، مدخل إلى علم اللغة، دار الفلاح، الأردن، 2000م: ص127.
[2]- عمر، محمد الأمين، الشيخ أبو بكر عتيق وديوانه هدية الأحباب والخلان، مرجع سابق: 134.

ويحذر المتلقي عن الانضمام في سلك المنكرين. ثم يقرر في البيت الثالث بأنه انحاز كلياً إلى الشيخ أحمد التجاني، واتخذه قدوةً له، لأنه إمام جميع الأولياء الكرام.

ومن ذلك أيضاً قوله في حرمة التدخين:

يقولون لا نص يحرمها لنا فوالله قد قالوا بأعظم فرية
فكيف وأهل العلم قالوا بمنعها كما ذكروه في فنون الأدلة
ومن قال إنها حلال فقل له فوالله قد أتيت يا ذا بكذبة[1]

ولا يخفى على القارئ تجرد هذا النص عن اللغة المجازية غير العادية، حيث يلمس صراحة تعبير الشاعر عن موقفه في حرمة التدخين، ورده على القائلين بعدم وجود نص على حرمة تناول الدخان؛ فيقسم بالله بأنه افتروا كذباً فيما قالوا. واستمر في البيت الثاني يعبر بأن هناك أدلة كثيرةً ذكرها العلماء للدلالة على التحريم. فنلمس بأن هناك أدلة كثيرةً ذكرها العلماءُ للدلالة على التحريم. فنلمس منه في البيت الثالث يؤكد يمينه لتكذيب من قال بجوازها. وفيما سبق يَعِي القارئ من لغة النص أنها تمثِّل المصاحبات العادية غير المجازية.

المصاحبات غير العادية (Unusual Collocations):تتمثل المصاحبات غير العادية في استخدام اللغة المجازية، يلجأ إليها الكتاب والشعراء بغية استحداث أنواع من المصاحبات اللغوية غير المألوفة؛ وقد ينتج ذلك أخيلة شعرية معينة في ذهن

[1]- المرجع السابق: 53.

المتلقي"وغالباً ما يعتمدون على التفاعل بين المصاحبات العادية والمصاحبات غير العادية لإثارة إيحاءات بعينها في أذهاننا"[1].

على أن المصاحبات غير العادية أو التعبيرات المجازية هي التي تهمنا هنا في المقام الأول.

ومهما يكن من أمر،فإن المصاحبات غير العادية لها أثر فني في الأعمال الأدبية وخاصة الشعر، إذ أنها جزءٌ من الجهاز الذي يوظفه الشاعر لإيصال شيء لا يمكن توصيله بالوسائل العادية، كما نلمس ذلك من شعر بدر شاكر السياب حين يعلق على الأحوال التي كانت سائدةً في العراق حيث يقول:

حتى كأن معاصر الدم دافقات بالخمور ...
ولست أسمع من غناء إلا النعيب
لأزرعن من الورود ألفاً تروى بالدماء.

يعبر الشاعر عن استخدام العنف وصنوف العذاب ضد الأحرار من الرجال والنساء والأبرياء من الأطفال، موظفاً في ذلك مصاحبات غير عادية "معاصر الدم دافقات بالخمور"، فكيف تسيل الجروح بالخمور؟ هذه مصاحبة غير مألوفة،لأن المعلوم أن يسيل الجرح بالدمإلا أن الشاعر يريد أن يربط العلاقة بين خروج الدم الذي تصحبه الآلام وبين الخمور التي تكسب صاحبها الشعور بالنشوة والأريحية، للدلالة على أن المصائب التي يعانيها المواطنون لا تذهب سدى، بل إن عقباها

[1]- عزت، علي (الدكتور)، الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب، مرجع سابق: 33.

النصر والحرية. ويلمس القارئ من الشاعر وكأنه يلحُّ على التحريض بالمثابرة على ما هم فيه من الكفاح طلباً للحرية، حيث وظف مصاحبة غير عادية بقوله: "لأزرعن من الورود ألفاً تروى بالدماء". ففي قوله: "تروى بالدماء" مصاحبة غير مألوفة وظفها الشاعر للدلالة على أن دماء الأبرياء من الأطفال والنساء لا تذهب سُدىً، بل تنبت ورداً عطرةً، وهي انتشار الأمن والاطمئنان والسعادة في البلاد بعد انهزام العدو[1].

وبالرجوع إلى شعر الشيخ أبي بكر عتيق،يلمس القارئ ورود هذا النمط من المصاحبات غير المألوفة بندرة، حيث تبلغ نسبة شيوعها 4,2%؛ فهذه نسبة ضئيلة جداً إذا ما قورنت بغيرها من المصاحبات العادية. ومن ذلك قوله في الحب الإلهي:

سلكت مسالك العشاق حتى شربت شرابهم فلذا سكرت
شربت الكأس حقاً بعد كأسٍ فزاد تعطُّشي لما شربت
وأسكرني الشراب فهمت سكراً وكدت أموت إذ منه ارتويت
وزدت الشرب عَلاً بعد نَهْلٍ فزاد تعطُّشي ولذا فنيت
فنيت بذا الشراب وصرت باق به إذ ما رويت لذا بقيت[2]

[1]- المرجع السابق: 38.

[2]- عمر، محمد الأمين، الشيخ أبو بكر عتيق وديوانه هدية الأحباب والخلان، مرجع سابق: 214.

استخدم الشاعر المصاحبات غير العادية للتعبير عن تعمقه في الحب الإلهي، وقد صور هذا الحب خمراً، فنلمس منه في البيت الأول يعبر بأنه نهج منهج العاشقين، وشرب ما شربوا، وسكر كما سكروا.

وفي البيت الثاني استطاع الشاعر تجسيد هذا الحب بأنه شرب منه كئوساً،إلا أنه ليس شراباً عادياً، لأن كثرة الشرب منه تؤدي إلى مزيد من العطش. واستمر في البيت الثالث يعبر بأنه ارتوى من هذا الشراب، وسكر منه حتى كاد يموت سكراً. ونلمس منه في البيت الرابع يؤكد بأنه ألحَّ في الشراب مرةً بعد مرةٍ، وما زاده ذلك إلا عطشاً وذوباناً في الحب الإلهي. واستمر في البيت الخامس يعبر عن هذا الفناء والذوبان بأنه ليس عادياً، بل روحياً يؤدي إلى البقاء والدوام في الحب الإلهي.

ومن المصاحبة غير العادية قول الشاعر في الترحيب بالشيخ محمد الهادي،وهو من أصحاب الشيخ إبراهيم انياس رحمه الله:

أمْدادُ إبراهيمَ قد وصلتْ بنا مُذْ جاءنا طـــودٌ مـــن الأطـــوادِ
وفيوضُ إبراهيمَ قد وصلتْ بنا بقُـــدومِ هادينـــا بـــلا تَـــرْدادِ
يا شَيْخَنا الهادي أتيتَ لقُطْرِنا لتُمِدَّنا فيضـــاً فهـــا أنـــا صـــادِ[1]

يلمس القارئ من الأبيات السابقة مصاحبات غير عادية، حيث شخص الشاعر معارف الشيخ إبراهيم انياس، وأضفى عليها صورة الكائن الحي: "أمداد إبراهيم قد

[1]- عمر، محمد الأمين، الشيخ أبو بكر عتيق وديوانه هدية الأحباب والخلان، مرجع سابق: 112.

وصلت بنا"، وقوله: "وفيوض إبراهيم قد وصلت بنا". والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي قوله في البيت الأول:"مذ جاءنا طودٌ من الأطواد".وهي دلالة على مجيء الممدوح الذي وصفه بالطود على نسق الاستعارة المكنية. والقرينة المانعة من إرادة المعنى الحقيقي "مذ جاءنا".

والبيت الثاني يوضح الأول، ويؤكده بأن هذه المعارف إنما وصلت بدون شك بمجيء الشيخ محمد الهادي، لأنه من كبار أصحاب الشيخ إبراهيم الكولخي كما سبق.

واستمر في البيت الثالث يجسد هذه المعارف بقوله: أيها الضيف الكريم،قد نزلت ببلدنا لتمدنا "فيضاً" معرفياً، فها أنا جئت إليك عطشانَ لأغترف من فيضك حتى يذهب عني الظمأ الذي اشتد بي.

ومن الجدير بالاعتبار أن "المصاحبات غير العادية هي ذلك النوع الذي يُرجَّح أن يكون من الأهمية بمكان في الأدب، وبخاصة في الشعر،إذ أنها جزء من الجهاز الذي يستطيع بواسطته الروائي أو الشاعر أن يحاول جاهداً في مساحة كبيرة أو صغيرة من النص توصيل شيء لا يمكن توصيله بالوسائل العادية"[1].

[1] McIntosh, A. and Halliday, M. A. K., Patterns of Language, Papers in General, Descriptive and Applied Linguistics, London, Longman, 1969, p. 74 – 75.

المجموعة اللفظية:ترتبط فكرة "المجموعة اللفظية" ارتباطاً وثيقاً بالمصاحبات اللغوية؛ لأن العلاقة بين المصاحبات اللغوية هي التي تمكننا من تصنيف المفردات في مجموعات لفظية.

هذا، فإن المجموعة اللفظية عبارة عن "مجموعة المفردات التي تشترك أو تتشابه في المدى التصاحبي"[1]. فلو أخذنا كلمة الجلوس كلفظ محوري في قولنا: (جلست الفتاة مستريحة على ...)، يمكن أن نعتبر الألفاظ: (المقعد، الكرسي، الأريكة، المنضدة، السجادة، الحصير، الأرض ... وهكذا) منتمية إلى مجموعة لفظية عدة، لأنها تشترك في مداها التصاحبي؛ بمعنى أنها تُرى عادة في صحبة ألفاظ مثل: (يجلس، ينام، ومستريح). وكذلك لو بحثنا عن الألفاظ التي تصاحب مفردات محورية مثل (اقتصادي/اقتصادية) أو (سياسي/سياسية)، نلمس مجموعات لفظية تندرج تحتها مثل: (شؤون، خطة، برنامج، كساد، أزمة، انفراج ...) وهكذا.

ومهما يكن من أمر، فإن دراسة المجموعة اللفظية تسهم في إبراز آراء الكاتب ومفاهيمه حتى يلم المتلقي إلماماً تاماً بمذهبه الشعري، ويحكم بأن النص صدر منه عن طريق اكتشاف أسلوبه المتميِّز."ففي الدراسات الأسلوبية يمكن عن طريق إبراز المجموعات اللفظية المصاحبة لألفاظ محورية شائعة في أسلوب كاتب ما، أن نتبين دلالة هذه المجموعات في تفسير آراء الكاتب ومفاهيمه ..."[2].

[1]- عزت، علي (الدكتور)، الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب، مرجع سابق: 40.

[2]- المرجع السابق: 41.

ففي شعر الشيخ أبي بكر عتيق مثلاً، نجد ألفاظاً محورية شائعة مثل: (النبي، الشيوخ، الطريقة، الكرامات، الفيضة، الزمن، القيامة ...) تتبعها مجموعات لفظية تدل على إحساس الشاعر بالنزعة الصوفية تمت إلى الطريقة التجانية بصلة. فاللفظ المحوري (النبي) مصحوب بألفاظ مثل: (خير الورى، طه، المصطفى، خير البرايا، خير الأنام، المختار، سر الوجود) وهكذا.

ولفظ (الشيخ أحمد التجاني) مصحوب بألفاظ مثل: (غوث، خاتم الأولياء، قطب، نجل خير البرايا، أبو العباس ...) وهكذا. ولفظ (الكرامات) مصحوب بألفاظ مثل (فيض، شفاعة، منبر النور، رؤية النبي بيقظة ... الخ). ولفظ (الطريقة) مصحوب بألفاظ مثل (الياقوتة الفريدة، جوهرة الكمال، الالتزام، الأسرار، فضيلة، فيضة، حمدية ...) وهكذا. والمتتبع لحديث الشاعر عن (الزمن) يلمس أنه مصحوب بألفاظ مثل: (الصبح، المساء، الجمعة، الاثنين، ليلة الزهر ...) وهكذا.

ولنستمع إلى الشاعر يوظف مجموعات لفظية للفظ المحوري (النبي)، حيث يقول:

حينَ تَجَلّى ذاتكا وجهي فلا تَنْحَجِرُ
بجَاهِ طهَ المصطفى خيرُ البَرايا المُضَرُ[1]

[1]- عمر، محمد الأمين، الشيخ أبو بكر عتيق وديوانه هدية الأحباب والخلان، مرجع سابق: 41.

يلمس القارئ من البيت الثاني توسل الشاعر بالنبي e ، موظِّفاً في ذلك مجموعات لفظية التي تراها دائماً تصحب اللفظ المحوري (النبي)، فقد توسل الشاعر بجاه (طه، المصطفى، خير البرايا) بأن لا يحرم النظر إلى ذاته تعالى يوم تجليه لعباده المؤمنين.

ومن ذلك قوله:

أقولُ مِنْ بَعْـــدِ الصَّـــلاةِ والسَّـــلامِ على النَّبِي المصـــطَفى خَيْـــرِ الأنَـــامِ
وآلِـــــه وصَـــــحْبِه الأطْهَـــــارِ أهْـــلُ التُّقـــى عِصـــابَةُ الأَنْـــوَارِ
يـــا راغبـــاً في رُؤيَـــةِ المُختَـــارِ وشَـــيْخِنا أحمـــدَ ذي الفَخـــارِ[1]

افتتح الشاعر البيت الأول بالصلاة على النبي e (المصطفى، خير الأنام) كما وصفه بـــ(المختار) في البيت الثالث، مما يدل على أن الأوصاف المذكورة، مجموعة لفظية للفظ المحوري (النبي).

ومنها قوله:

وصَلِّ على سِـــرِّ الوجـــودِ محمـــدٍ شفيعِ الورى سامي الذُّرى ذي البواترِ[2]

فالمجموعة اللفظية للفظ المحوري (النبي) من البيت السابق تتمثل في (سر الوجود، شفيع الورى، سامي الذرى، ذي البواتر). ومعرفة هذه الأنماط التعبيرية تسهم في إبراز مفاهيم الشاعر ومذهبه الشعري.

[1]- المرجع السابق: 42.
[2]- المرجع نفسه: 145.

فالمجموعة اللفظية للفظ المحوري (النبي) من البيت السابق تتمثل في (سر الوجود، شفيع الورى، سامي الذرى، ذي البواتر). ومعرفة هذه الأنماط التعبيرية تسهم في إبراز مفاهيم الشاعر ومذهبه الشعري.

وعند الاعتبار لاستخدام الشاعر لفظ "الشيخ أحمد التجاني" كلفظ محوري، يلمس القارئ أنه مصحوب بمجموعات لفظية معينة تمت إلى التعبير عن اللفظ بصلة، كما في قوله:

مَقامُ أبي العَبَّاسِ أَعْلَـى وأكْبَـرُ مَنَاقِبُه ليْسَـتْ تُعَـدُّ وتُحْصَـرُ[1]

وقوله:

أيـا شَـيْخَنا خَـاتمَ الأوليـاءِ أوارثَ خَيْـرِ الـوَرى ذِي السَّـناء
أيا قُطْبُ يـا خَـتْمُ يـا ذَا المقـامِ ويا كَـتْمُ يـا صَـاحِبَ الإرْتِقـاءِ[2]

وقوله:

علُومُ أبِي العَبَّاسِ قطـبِ الأكـابِرِ حَوَاها بلا رَيْـبٍ كتـابُ الجـواهِرِ
حوَى سيرَةَ الشيخِ التجـاني وسـيره وهمتـه ومـا لـه مـن مفَـاخِرِ[1]

[1]- المرجع نفسه: 64.
[2]- المرجع نفسه: 75.

وقوله:

أبـــو العبـــاسِ مولانـــا الفخـــيمُ ممـــدُّ الأوليـــا القطـــبُ العظـــيمُ
ختـــامُ الأوليـــاءِ مُفِـــيضُ فـــيْضٍ طريقتُـــــه صـــــراطٌ مســـــتقيمُ
مقـــامُ الخـــتْمِ والكـــتْمِ ارتقـــاه بـــذلك خصَّـــه المـــولى القـــديمُ[2]

تعتبر الكلمات (أبي العباس) و(شيخنا، خاتم الأولياء)، و(قطب، ذا المقام، ختم، كتم، صاحب الارتقاء)، و(أبي العباس، قطب)، و(الشيخ التجاني)، و(أبو العباس، مولانا، ممد الأوليا، القطب، ختام الأولياء ...) في الأبيات السالفة الذكر مجموعات لفظية مصحوبة باللفظ المحوري (الشيخ أحمد التجاني).

ومهما يكن من أمر، فإن المصاحبة اللغوية عبارة عن فكرة أسلوبية يتمثل فيها البحث عن كيفية توظيف الكلمات التي ترى عادة برفقة كلمات معينة.وتبدأ المصاحبة من عُنْصرَيْن فأكثر، ابتداءً باللفظ المحوري وانتهاءً بالمدى التصاحبي. وتعتبر الفكرة كذلك بأنها ذات أهمية كبرى،وخاصة لدى طلاب الدراسات العليا، لما فيها من أثر إيجابي في توثيق وإثبات المعنى المراد حتى يكون مطابقاً لمقتضى حال الخطاب[3].

---

[1]- المرجع نفسه: 80.

[2]- المرجع نفسه: 84.

[3] McIntosh, Colin, Joanna Turnbull, Oxford Advanced Learner's Dictionary of Current English, Oxford University Press, UK, 2005, p. 281.

وخلاصة القول،إن المجموعات اللفظية تتمثل في تصنيف مفردات مصحوبة بألفاظ محورية، وتسهم إلى حدٍّ كبير في تشكيل دلالاتها، كما تساعد المتلقي في اكتشاف منهج المبدع.

الخاتمة:

ألقت هذه الدراسة ضوءاً عن المصاحبات اللغوية، بما فيها من رصد العلاقات الاقترانية الدلالية للنص الأدبي، والاهتمام بالبحث عن كيفية ميول بعض الألفاظ إلى مصاحبة ألفاظ معينة دون غيرها.وقد كشفت الدراسة الغطاءَ عن الفارق الأساسي بين المصاحبات العادية وغير العادية، المتمثل في توظيف اللغة المجازية والانحراف عن النمط المألوف في استخدام اللغة لنقل الرسالة إلى المتلقي.

وقد عالجت الدراسة المجموعة اللفظية المتمثلة في إبراز مجموعة المفردات التي تشترك وتتشابه في المدى التصاحبي،ثم أوضحت كذلك نماذج لبعض الألفاظ المحورية الشائعة، والألفاظ المصاحبة، والمسافة التصاحبية،في شعر الشيخ أبي بكر عتيق، وعرضت لذلك كله إحصائية بغية الوقوف على طريقة الشاعر،وكشف مذهبه الفني.

هذا، وقد توصَّلت هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

أن الشيخ أبا بكر عتيق ابن بارٌّ لعمود الشعر في معظم قصائده، وذلك انطلاقاً من الثقافة العربية التراثية التي تربَّى عليها.

أ. يميل الشاعر إلى توظيف المصاحبات المألوفة، حيث لاحظ الباحث أن 95,8% من شعره كان موضوعاً على النمط التصاحبي المألوف.ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن معظم قصائده يرجع إلى أغراض تعليمية. ومعلوم أن الأسلوب العلمي يمتاز عن غيره بالوضوح والبعد عن الانحراف.

ب. يسيطر على شعر الشيخ أبي بكر عتيق الطابع الصوفي، ويلمس القارئ ذلك من تتبع القصائد الواردة في شعره، لما فيها من كثرة شيوع بعض المصطلحات الصوفية، مثل: الختم، الكتم، مطلسم، الفيضة، سر الوجود، قطب، خاتم الأولياء ... وهكذا.

ج. تؤكد دراسة ظاهرة المصاحبة اللغوية أن دلالة التركيب لا تتوقف عند حدود المعنى المعجمي، بل ينبغي النظر في التصاحب الواقع بين الألفاظ من أجل التوصل إلى المعنى المراد.

وأخيرا يوصي الباحث إخوته الطلبة بأن يشمروا عن ساعد الجد للبحث عن الكنوز المدفونة من مؤلفات علماء هذه البلاد،بغية نفض غبارها،وكشف الغطاء عن

أسرارها،حتى تكون معروفة لدى غيرنا من الأمم،مما يؤدي إلى إحياء تراث أسلافنا، ورفع شأن بلادنا، وحماية ثقافتنا من الانحطاط والانهيار.

المصادر والمراجع:

1-أنيس, إبراهيم وآخرون, المعجم الوسيط, مجمع اللغة العربية بالقاهرة, م1 -2, د.م,

2-الحسيني, حمادة محمد عبد الفتاح, المصاحبة اللغوية وأثرها في تحديد الدلالة في القرآن الكريم, رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في أصول اللغة, جامعة الأزهر, كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة, 2007م

3-الخولي، محمد علي (الدكتور)، مدخل إلى علم اللغة، دار الفلاح، الأردن، 2000م

4-عزت، علي (الدكتور)، الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب، شركة أبو الهول، القاهرة، ط1، 1996م

5-عمر، محمد الأمين، الشيخ أبو بكر عتيق وديوانه هدية الأحباب والخلان، مطابع الزهراء، كنو، نيجيريا، (ب ت).

6-يهوذا, أمبن, المصاحبة في شعر الدكتور إبراهيم أحمد مقري, قسم اللغة العربية, جامعة أحمد بلو, زاريا, كدونا-نيجيريا, 2003م.

المراجع الأجنبية:

1-Ibrahim, A. Tahir, (PhD), Scholars, Sufis, Saints and Capitalists in Kano 1904 – 1974, Dissertation Submitted to University of Cambridge in Fulfillment of the Requirements for the Degree of Doctor of Philosophy, Nov. 1975

2-McIntosh, A. and Halliday, M. A. K., Patterns of Language, Papers in General, Descriptive and Applied Linguistics, London, Longman, 1969,

Paden, John N., Religion and Political Culture in Kano, University of California Press, London, 1973